الخطبة الخمسون

يوم عرفة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وبعد:

فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله أن هدانا لهذا الدين العظيم، والحمد لله سبحانه على نعمه الظاهرة والباطنة ما علمنا منها وما لم نعلم، والحمد لله تعالى أن جعل لنا أياماً وأوقاتاً وأمكنة يكثر فيها الفضل ويزداد ويُضاعف الثواب أضعافاً كثيرة، وتزداد فيها الرحمات والبركات وكل هذا من فضله سبحانه وكرمه على هذه الأمة ما دامت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها بعيدة عن الضلالات والبدع، فجعلنا سبحانه وتعالى من خير الأمم بهذا التمسك وبهذا الاعتصام، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 3/ 110].

وهل الشريعة إلا أوامر ونواهي؟ أي أنكم تأمرون بما أمر الله سبحانه وتعالى به من إقامة شرعه، وتحكيم حلاله وحرامه -أي: أحكامه-، وتنهون عما نهى الله عنه، فكل ما نهت عنه الشريعة هو من المنكرات، وكل ما أمرت به الشريعة هو من المعروف، أمركم هذا ونهيكم هذا من أجل مرضاة الله إيماناً بجزائه وإيماناً بوعده وخوفاً من ناره وعذابه ووعيده، تؤمنون بتنزيل الله وشرعه، تؤمنون بنبوة نبيه ﷺ فتطيعونه وتتبعوا سنته، ولا تغيروا في الدين ولا تبتدعوا وتخالفوا منهجه وفهم صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 16/ 90].

ومن هذه الأيام التي يضاعف الله تعالى فيها الحسنات ويغفر فيها الذنوب هو يوم عرفة، وهو من أفضل أيام السنة، ومن ضمن أفضل أيام السنة -وهي عشر ذي الحجة- فهي أفضل الأيام على الإطلاق لقوله عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عباس في البخاري: «ما العمل في أيام أفضل منها من هذه (أي: عشر ذي الحجة)، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء» ومن حديث جابر رضي الله عنه قوله ﷺ: «ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة» وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قوله ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن التهليل والتكبير والتحميد» صححه أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تحقيقه لمسند الإمام أحمد.

فالله سبحانه وتعالى أقسم بهذه الأيام وقسمه سبحانه دليل فضلها وعظمتها، ورسول الله ﷺ قال: هي -أي: هذه الأيام- أفضل وأعظم وأحب من بقية أيام السنة، والأعمال فيها تُضاعف أضعافاً كثيرة، والتهليل والتكبير والتحميد مما يحبه الله سبحانه وتعالى، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع -لا يضرك بأيهن بدأت-: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» رواه مسلم.

ويوم عرفة هو سيد هذه الأيام العشر، وقد أقسم الله تعالى به، لعظمته وقَدْرِه، ورحمة الله التي تتنزل فيه، وبركة الله سبحانه في هذا اليوم وعفوه وكرمه، وقال تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: 85/ 3]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: الشاهد: هو يوم الجمعة، والمشهود: هو يوم عرفة، والموعود: هو يوم القيامة.

وجاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم

عيداً، قال عمر: أي آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 5/ 3]، قال عمر رضي الله عنه: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ: وهو قائم بعرفة يوم الجَمع» رواه البخاري ومسلم.

فجمع الله سبحانه أعظم يومين في وقت واحد؛ الجمعة وعرفة، ولذلك سمّي الحج الأكبر والله أعلم.

ومن فضل عرفة أن جعله الله سبحانه الركن الأساسي للحج فقال عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الرحمن بن يَعْمَرَ الدّيلي رضي الله عنه: «الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر من ليلة جَمعٍ فقد تمَّ حجه» حم.

ويوم عرفة هو يوم المباهاة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «انظروا إلى عبادي جاؤوني شُعثًا غُبراً» صحيح ابن خزيمة، وابن حبان.

ويوم عرفة هو يوم العتق من النار من حديث عائشة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟» رواه مسلم.

ويوم عرفة هو يوم الدعاء، ويوم التضرع إلى الله تعالى، وهو يوم التوحيد؛ لحديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له» رواه مالك مرسلاً، وهذا دعاء لجميع المسلمين سواءً أشهدوا عرفة في مكة أم كانوا خارجها في أقطار الدنيا، وهذا أفضل الدعاء على الإطلاق في الحج وخارجه.

ويوم عرفة هو يوم إذلال وتحقير للشيطان؛ لأن مغفرة الله تعالى ورحمته وبركاته لا حدود لها في هذا اليوم، لحديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما رُئيَ الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تَنَزُّلِ الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أُرِيَ يوم بدر» رواه مالك مرسلاً.

ومن عظمة هذا اليوم وفضله أن جعله الله لمن صامه مكفراً لذنوبه لقوله ﷺ: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده» رواه مسلم.

ويوم عرفة يوم الذكر والاستغفار واللجوء إليه تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 29/ 45].

قال ابن الجوزي رحمه الله: في تلك الآية أربعة أقوال:

1- ذكر الله إياكم، أكبر من ذكركم إياه، وبهذا قال ابن عباس رضي الله عنه، 2- ذكركم الله تعالى أفضل من كل شيء سواه، وهذا قول أبي الدرداء وسلمان الفارسي وقتادة رضي الله عنه، 3- وذكر الله تعالى في الصلاة أفضل من ذكره خارج الصلاة، 4- وذكر الله سبحانه بالصلاة أكبر من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر.

لأن الله تعالى قال: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: 29/ 45]، أي: أنك إذا ذكرت الله حقًا في الصلاة، فإذا أتيت بالصلاة على وجهها حقيقة قلبًا وقالبًا وخشوعًا وتدبراً، فصلاتك هذه هي ذكر لله تعالى وهي أيضًا ناهية لك ورادعة عن الفحشاء والمنكر، فصار ذكرك الله أكبر من أي شيء؛ لأنها حققت المطلوب منك، والمطلوب من العبد هو الاتباع والارتداع. اتباع لما أمر الله به ورسوله ﷺ، ونهي وارتداع عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، وهذا أكبر وأفضل.

ومنهم من قال: إن من قواعد الدين درء المفاسد والمضار، وجلب المصالح والمنافع، فذكر الله تعالى أكبر من أي شيء لأنه يدرأ المفاسد والمضار بقوله: تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتجلب المصالح والمنافع وأي منفعة أكبر من ذكر الله تعالى وتوحيد الله تعالى، ودعاء الله تعالى، والتذلل والتضرع إلى الله تعالى. ومنهم من قال في قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: 20/ 14].

اعبد الله سبحانه وتعالى بتطبيق شرائعه وأحكامه، وأقم الصلاة لتربط قلبك وعقلك وذكرك وإحساسك بالله تعالى، تدعوه، تتضرع إليه، تسأله، تشكو إليه، تحمده، تشكره، تتطلب منه، تترجاه، تناجيه، وأجمل ما يكون هذا في صلاتك.

ومن فضله تعالى وكرمه علينا أننا إذا تبنا واستغفرنا وأنبنا إلى الله تعالى، فهو يقبل منا ويعفو عنا، وهذا من رحمته بنا ولطفه وكرمه علينا. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الشورى: 42/ 25].

إذا أقبلت على الله تعالى قَبِلَ منك، وحديث ابن عمر رضي الله عنه قوله ﷺ: «لله أفرح بتوبة العبد من رجل ضلت عنه ناقته، فقام في جذع شجرة ينتظر الموت، فلما أفاق وجد ناقته أمامه وعليها طعامه وشرابه، لله أفرح بتوبة عبده من فرح بهذا بناقته فقال من شدة فرحه: اللهم أنت عبدي وأنا ربك» البخاري (6308) – مسلم (2747). ويوم عرفة أفضل أيام السنة وأعظمها وأحبها إلى الله تعالى، فتعال يا أخي نتوب ونرجع إلى الله تعالى لعل الله تعالى يرحمنا ويغفر لنا ويتوب علينا ويتقبلنا، آمين.

ولا يحق للحاج أن يصوم عرفة، فعن ابن عباس رضي الله عنه: «نهى رسول الله عن صوم يوم عرفة بعرفة» رواه البوصيري – حسن.

وعرفة هو اليوم التاسع من ذي الحجة، وصومه من أعظم الأعمال، لأنه لا يخالطه رياء ولا سُمْعَة، فالصيام بين العبد وربه، و «صيام يوم في سبيل الله يباعد الله به وجهه عن النار سبعين خريفًا» متفق عليه.

وصيام النفل يكمّل النقص الحاصل من الفرائض.

– أعمال يوم عرفة:

1– الصوم، 2– قراءة القرآن، 3– النوافل من صلاة وصدقة، 4– ذكر الله تعالى في كل أحوالك –وأعظم الذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له–، 5– تذكر نعمة الله عليك وتحمده وتشكره لقوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله،

وأفضل الدعاء: الحمد لله» صحيح الترمذي، 6- تملك جوارحك عن الحرام لقوله عليه الصلاة والسلام للفضل بن عباس رضي الله عنه وكان رديف النبي ﷺ من عرفة فقال له: «ابن أخي إن هذا يومٌ مَن مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه غُفِرَ له» حم، 7- وأَحْسِنِ الظنَّ بالله تعالى بأنه سبحانه غفور رحيم، وتواب رحيم، وهو الذي يقبل التوبة ويغفر الذنوب، وأنه سبحانه على كل شيء قدير، وإياك واليأس والقنوط من رحمة الله تعالى! فهذا من الضلال، لأن اليائس من رحمة الله مكذب بأسمائه وصفاته! فالله غفور رحيم، ولا راد لفضله وكرمه، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

8- وَصِلْ رحمك وأقاربك وتصدق عليهم وأعطهم مما أعطاك الله تعالى، وتجاوز عمن أخطأ في حقك واصفح وسامح لعل الله سبحانه يصفح عنك ويسامحك ويغفر لك، ولا تُمَنِّن أهلك أو أحداً من الناس بخير فعلته له، لأن أعمالك يجب أن تكون خالصة لله تعالى تبتغي بها مرضاة الله تعالى وعفوه وإحسانه.

9- وعليك بصلاة الجماعة والجلوس في المسجد بعد الصلاة فذلكم الرباط كما قال عليه الصلاة والسلام.

10- اجعل بينك وبين الله خبيئة لا يعلمها إلا الله تعالى، ترجو بها رحمته ومغفرته، ولا تطلع أحداً عليها، اجعلها سراً بينك وبين ربك ككفالة يتيم أو أرملة، أو دواء لمريض، أو علاج له، أو سداد دين لأخيك، أو كتم مظلمة، أو ستر خطيئة لأخيك فلا تفضحه ولا تعيّره، ولا تحقره، لعل الله يسترك يوم القيامة ويعفو عنك، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة» حم - ت - صححه الألباني.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من ذبّ عن لحم أخيه في الغيبة كان حقـًا على الله أن يعتقه من النار» حم - بسند حسن.

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أربا

الربا: استطالة أحدكم في عرض أخيه» رواه البزار – أبو داود– ك –.

إن أسوأ الربا وأرذله وأكثره سوءاً ووبالاً على صاحبه هو: أن يتكلم المرء في عرض أخيه المسلم قولاً أو فعلاً أو تلميحـًا، وهذا من أكبر الحرام، وهنا مَثَّلَ رسول الله ﷺ من حيث أن الربا من أكبر الحرام في المعاملات المالية، فإن الاستطالة في عرض المسلم وسمعته والوقوع في الغيبة من أكبر الحرام في المعاملات الاجتماعية، حتى إن رسول الله ﷺ جعله أكبر، لأن الربا في المال ذنب بينك وبين الله تعالى، أما الاستطالة في سمعة أخيك وعرضه هو ذنب بينك وبين أخيك فهو من حقوق العباد التي لا يغفرها الله تعالى؛ لأنك خالفت أوامره وأوامر نبيه عليه الصلاة والسلام فأصبحت أكبر، ومن أربا الربا أن تؤذي أخاك بسمعته أو عرضه أو التشهير به أو فضحه بين الناس، عوضـًا عن أن تدعو له بالعافية، وتحمد الله أن عافاك مما ابتلاه به، هذا إن كان فيه ما تقول، وإن لم يكن فيه فقد وقعت بجرم أكبر حيث إنك كذبت عليه ونعته ووصفته بما ليس فيه.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدنيك ويقربك فاحفظ ثلاثـًا:

1– إياك أن يجرب عليك كذبة، 2– وإياك أن تفشي له سراً، 3– وإياك أن تغتاب عنده أحداً، ثم قال: يا عبد الله ثلاثـًا وأي ثلاث، فقال له رجل: «يا ابن عباس كل واحدة خير من ألف».

11– والأعمال الصالحة كثيرة جداً ومتنوعة جداً، ولكن للأعمال الصالحة شروط يجب توافرها حتى تكون مقبوله عند الله تعالى: 1– التوحيد الصحيح السليم مع الفهم السديد للتوحيد وأركانه، 2– المتابعة لأوامر الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، 3– الإخلاص التام لله تعالى والعمل لله وفي سبيل الله وفي تحقيق مرضاته والفوز بجنته، 4– المحبة لما يحبه الله ورسوله، 5– كراهية ما يكرهه الله ورسوله وهذان من أركان الولاء والبراء، 6– محبة المسلمين ومحبة الخير لهم والنصح لهم

والدعاء لهم. قال عليه الصلاة والسلام: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كان له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» رواه الطبراني.

اللهم اجعلنا من المقبولين، اللهم تقبل منا وتب علينا يا أرحم الرحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين